مصر تنسى شاعرها

حافظ ابراهيم

للأستاذ كرم ملحم كرم

تألم صاحب «الرسالة» المصرية لحظ الأدباء المنكود. وأوجعه أن يسير حافظ ابراهيم الى مثواه الأخير بين حفنة من رجال الفضل والأدب، وألا يمشى وراء نعش أحمد زكى باشا رجل العلم والهدى غير نفر معدود، على حين أن السياسيين إذا ماتوا اندفعت وراءهم الأمة بأسرها فى شبه مظاهرة، وأبدت عليهم من الأسف واللوعة مالا تفكر أن تبديه حيال أى أديب.

ومما زاد فى إيلام صاحب «الرسالة» أن القوم فى مصر تناسوا أدب حافظ ابراهيم، وبات الرجل لديهم أشبه بأبى نواس فى مجونه، فهم إذا ذكروه تحدثوا عن نوادره لا عن أدبه، كأنما شاعر البائسين أضحى من الهازلين، كأنما أضحى جحا فى مداعباته مع أن حافظاً خالد فى شعره ونثره، فقد أبقى من المنظوم والمنثور مايحق للغة العربية، وخصوصاً لمصر، أن تفاخر به. فان حافظاً شاعر الوطنية وشاعر الأدب البائس. وقد أحيا فى قصائده كما أحيا شوقى والمطران، عهداً للأدب مشرقاً فى مصر، فأعادوا على ضفاف النيل عهد الفرزدق والاخطل وجرير على ضفاف بردى.

ومصر مدينة لحافظ بشىء من هذه النهضة الوطنية البادية فيها. أما هز النفوس بقصائده فى ضرورة انقاذ مصر من الطغيان الأجنبى؟ أما أظهر استبداد المحتلين وجورهم وسعيهم الى اذلال مصر؟...

لقد ترددت قصائد حافظ تحت سماء وادى النيل كأنها أنفاس بوق يدعو المصريين الى الجهاد والاستشهاد، ومع كل هذه الغيرة الملتهبة على مصر من حافظ، لم يجد حافظ من المصريين أى وفاء، فما اعترفوا له بمكرمة ولا بمأثرة فى غير بطون الكتب والصحف والمجلات. أما عامتهم، ولا ننسى خاصتهم، فما فكروا فى أن يقيموا لشاعرهم ضريحاً. ولقد ضل الوفد اللبنانى طريقه الى هذا الضريح وهو يحمل اليه إكليلاً مضفوراً من فلذة أكباد اللبنانيين الذين يجاهدون فى سبيل أدبهم، الأدب العربى، ويقدرونه قدره، والذين لاينسون لحافظ أقواله فيهم وحبه لهم وإعجابه بهم مع أن من واجب مصر ألا تجحد فضل شاعرها عليها، من واجبها أن تقيم له ضريحاً يليق به، من واجبها أن تذكره كشاعر قبل أن تذكره كماجن، فالمجون فى حافظ لا يغلب على الشعر

وكنا نعتقد أن صداقة حافظ لمحمد محمود باشا ستدفع به الى تخليد ذكرى الشاعر بانشاء ضريح فخم يضم رفات فقيد الأدب. ومما حملنا على هذا الاعتقاد مايتمتع به محمد محمود باشا من ثروة، ولقد أخلص حافظ ابراهيم للرجل، ولقى من عنت حكومة اسماعيل صدقى باشا مالقى لأجل اخلاصه لمحمد باشا محمود وصداقته له، أيكون هذا جزاءه عنه؟..

أيضن الرجل المصرى العظيم الثروة بقليل من المال فى سبيل تشييد ضريح يرقد فيه جثمان حافظ بأمان؟...

من حق صاحب «الرسالة» أن يتألم، وإننا لنشاطره ألمه ونأسف على مصير الأدب والأدباء فى البلاد العربية. فالأديب لايجد من ينصفه، لا فى حياته ولا فى مماته. فان قيمته لدى الناس لاتزيد على ما يملك فى جيبه من المال. فاذا كان ذا ثروة وجد من يحفل به ويشيعه الى مرقده الأخير. أما اذا خانته الثروة فلا صديقه يتأثر لفقده ولا بنو قومه. فالمال هو كل شىء فى هذه الحياة.

ولو لم يمت شوقى عن ثروة ضخمة لكان نصيبه من بنى قومه نصيب حافظ، وربما كان دون نصيب حافظ. إلا أن ثروة شوقى شفعت له فى حياته ومماته، فساعدته على التربع فى عرش أمارة الشعر، وحملت الناس على الاطناب فيه، وهى هى التى دفعت الحكومة المصرية الى إقامة ذلك المهرجان العظيم لرثاء شوقى والاحتفال بذكراه.

نعم، هى المآرب السياسية وصلات القربى التى مالت باسماعيل صدقى باشا الى اقامة ذلك المهرجان نكاية فى الوفديين والأحرار الدستوريين الذين أخلص لهم حافظ، وتودد اليهم فى أيامه الأخيرة، إلا أن الوفديين والأحرار الدستوريين هم الفئة الكبرى فى مصر، فكيف تناسوا حافظاً ولم يحتفلوا بتخليد ذكراه، ولو لأجل النكاية

كما احتفلت حكومة اسماعيل صدقى بتخليد ذكرى شوقى ؟ .

إن حافظاً ليس فى حاجة الى ضريح خاص يقام له ليخلد ، ولا بحاجة الى مهرجان أدبى تقال فيه قصائد الرثاء ليمسى الرجل ذا قدر فى عالم الأدب ، فان آثاره تكفى لتخليده ، وتلك المظاهر الزائلة ليست ذات شأن فى مقام حافظ الأدبى ، بل هى عديمة الشأن ، إلا أن الفضل يجب أن يعلن ، والوفاء واجب على من طوق حافظ جيدهم بجميله ، وعلى كل ذى مروءة وحمية ألا يصدف عن هذا الواجب المفروض .

لسنا نجهل أن حكومة اسماعيل صدقى ماتت ، ولكن الوفديين والأحرار الدستوريين لم يموتوا ، وما فاتهم بالأمس يجب ألا يفوتهم اليوم ، وعلى مصر بأجمعها ألا تنسى بنيها ذوى الأدمغة النيرة فيها ، وتلك النشرة الخاصة التى أذاعتها جريدة «السياسة» لاحياء ذكرى حافظ لاتكفى ، فمن الواجب الدعوة الى المهرجان ، من الواجب تشييد الضريح ، وإن مجلة « الرسالة » لاتخطىء إذا خصصت أحد أعدادها بحافظ ، فتدعو أدباء الأقطار العربية جمعاء الى إعلان كلمتهم فى الشاعر المبدع الموهوب ، فان نشرة كهذه يذهب لها صدى بعيد ، وتحمل كل ذى شمم على الاهتمام بشاعر كل عيبه أنه رغب فى توطيد دعائم الأدب فى وادى النيل وفى الاشادة بوطنه ، وفى لفت أنظار سائر البلاد العربية الى ذلك الأدب الريان المورق فى خمائل مصر .

وإن تكن « الرسالة » تطمع فى المساواة بين حافظ وشوقى فلتخصص نشرة من نشراتها بحافظ ونشرة أخرى بشوقى ، فذلك اليها ، على أن تبث الدعوة الى مهرجان حافظ وإلى بناء ضريحه ، وبهذه الهمة تخدم الأدب وبنيه خدمة لم تسبقها اليها صحيفة عربية ، ويكفى أن تعظ المصريين بتذكيرهم بواجبهم حيال علم من أعلامهم خفق فى ميدان الوطنية والأدب ، فان هذا التذكير لابد منه لأجل مصر قبل الجميع ، لئلا تتحقق كلمة المتنبى وحافظ فيها :

فما أنت يامصر دار الأدي ب ولا أنت بالبلد الطيب

نحن نتألم لنصيب حافظ من بنى قومه كما يتألم صاحب « الرسالة » الأستاذ الزيات . وإنا لعلى اعتقاد تام أنه لن يغفل عما نبدى من رأى . وحرام والف حرام أن يطرح حافظ جانباً كالمنبوذين من الناس ، وأن يقصد الغريب عن مصر الى ضريحه يحج اليه فلا يجد من يهديه الى هذا الضريح ، وقد تناست مصر واجبها حيال شاعرها ، فما جادت ببضعة دنانير تحفظ بها بقاياه !

بيروت

كرم ملحم كرم
صاحب مجلة العاصفة

والرسالة ترجو أن توفق الى رأى الاستاذ

فرصة للاستثمار

يقدمها بنك مصر لمواطنيه

سندات

شركة مصر للغزل والنسج

سندات ذات فائدة مرتفعة وثابتة لمدة طويلة

مضمونة بجميع موجودات الشركة

تدفع قيمتها وكوبوناتها قبل توزيع أرباح على المساهمين

ينتهى الاكتتاب فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٤

« تقدم طلبات الاكتتاب لبنك مصر وفروعه »

ولأصحاب الودائع فى صندوق التوفير الحق فى الاكتتاب مع رفع كل قيد